

المؤتمر العالمي الحادي عشر للوحدة الإسلامية

(411) - أيضاً بلا تفریق أو تمییز. فإذا استمعنا إلى قول رب العالمین: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ أَدْعَاكُمْ فَلَا يَسْتَجِيبُوا لِي وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوهُنَّ أَتَحِبُّوا» (البقرة 186) أحسنا بلمسات ربانية حانية رقيقة، موجهة إلى جميع خلق الله - من بني آدم - من غير تمييز، وذلك بنسبتهم إلى ربهم، واستجابته السريعة لدعوة من يدعوه منهم. إن المساواة بين الناس هي إقرار لإنسانيتهم، وحفظ لكراماتهم. ولذلك فقد جعلها المنهج الإسلامي فرضاً مما افترض على أبنائه، وقاعدة مهمة في بناءه. قال رب العالمين: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمُ لِلْعَمَلِ كُمْ تَذَكَّرُونَ؟» (النحل 90). فالعدل والإحسان مفروضان، والظلم والعدوان مرفوضان، كما يبرز بوضوح من هذه الآية الكريمة. ومن المساواة الإشارة بأصل الناس الواحد، وإن تفرقهم إلى أمم وشعوب لا يلغي حقوقهم في المساواة، فالهدف من ذلك هو التعارف لا التمايز، لأن التمايز إنما يكون بتقوى الله وخدمة عباده. قال رب العالمين: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْثَىٰ وَنَكَاحٍ ثُمَّ وَضَعْنَاهُنَّ غُصْنًا وَنَخْلًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفْنَ إِنَّ كَرَامَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات 13). ومن إقرار حقوق الناس - بمختلف أهمهم وشعوبهم - رفض التكبر عليهم. فإن التكبر والاستعلاء والاستقواء يستتبع الانتقاص من حقوق الآخرين أو العدوان عليهم. وقد حذر المنهج الإسلامي من ذلك أشد التحذير حين حرم الجنة على المتكبرين والمتعالين والمتغترسين قال رسول الله صلى الله عليه وآله -: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (رواه مسلم). وأما المعتدون؛ فإن القرآن الكريم يتوعدهم بالعذاب الأليم، وذلك بقوله تعالى: «لَا تَتَّبِعُوا هَذَا نَصْرَهُمْ وَلَا إِلَهَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا يُوعَدُونَ الْمُكْفَرِينَ وَلَا الْمُنَافِقِينَ وَلَا الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ شَرًّا إِنَّمَا يَشَاءُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ ظَنَّهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (التوبة 23).